صعود الإمام علي (ع) على منكبي النبي (ص) لكسر الأصنام

<"xml encoding="UTF-8?>

كانت الكعبة رمز التوحيد على طول التاريخ . وعند ما بُعث النبيّ (صلى الله عليه وآله) لهداية الأُمّة ، كان الجاهليّون قد ملؤوا بيت التوحيد هذا بأصنام وأوثان شتّى من وحي جهلهم وزيغهم الفكري ، فلوّثوه بالشرك عبر هذا العمل السفيه ، ولذا اهتمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بإزالة كلّ هذا القبح والشذوذ ، وأخذ عليّاً (عليه السلام) معه لتطهير مركز التوحيد من مظاهر الشرك .

فصعد (عليه السلام) على منكبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وألقى صنم قريش الكبير – وقيل : هو صنم خزاعة – من على سطح الكعبة إلى الأرض . وهذه الفضيلة العظيمة المتمثّلة بتحطيم الأصنام صعوداً على منكبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تفرّد بها عليّ (عليه السلام) دون غيره على امتداد التاريخ .

وهي فضيلة لا نظير لها ، وموهبة لا يشاركه فيها أحد .

1 – الإمام عليّ (عليه السلام) : لمّا كان الليلة التي أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أبيت على فراشه وخرج من مكّة مهاجراً ، انطلق بي رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الأصنام فقال : اجلس ، فجلست إلى جنب الكعبة ، ثمّ صعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على منكبي ثمّ قال :

انهض ، فنهضت به فلمّا رأى ضعفي تحته قال : اجلس ، فجلست فأنزلته عنّي وجلس لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثمّ قال لي : يا عليّ ، اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه ، ثمّ نهض بي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخيّل إليّ أنّي لو شئت نلت السماء ، وصعدت إلى الكعبة وتنحّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فألقيت صنمهم الأكبر ، وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض ، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : عالجْه فعالجت فما زلت أُعالجه ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إيه إيه ، فلم أزل أُعالجه حتى استمكنت منه فقال : دقّه ، فدققته فكسّرته ونزلت (1) .

2 – المستدرك على الصحيحين عن أبي مريم عن الإمام عليّ (عليه السلام) : انطلق بي رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أتى بي الكعبة ، فقال لي : اجلس ، فجلست إلى جنب الكعبة فصعد رسول الله (صلى الله عليه

وآله) بمنكبي ، ثمّ قال لي : انهض ، فنهضت ، فلمّا رأى ضعفي تحته قال لي : اجلس ، فنزلت وجلست ، ثمّ قال لي : يا عليّ اصعد على منكبي ، فصعدت على منكبيه ثمّ نهض بي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلمّا نهض بي خيّل إليّ لو شئت نلت أُفق السماء ، فصعدت فوق الكعبة وتنحّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لي : ألق صنمهم الأكبر – صنم قريش – وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض ، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : عالجْه ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لي : إيه إيه (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطِلُ إِنَّ الْبَطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (2) فلم أزل أُعالجه حتى استمكنت منه ، فقال :

اقذفه ، فقذفته فتكسّر ، وتردّيت من فوق الكعبة ، فانطلقت أنا والنبيّ (صلى الله عليه وآله) نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم . قال عليّ : فما صعد به حتى الساعة (3) .

3 – الإمام عليّ (عليه السلام) – لأبي بكر : أنشدك بالله ، أنت الذي حملك رسول الله (صلى الله عليه وآله) على كتفيه في طرح صنم الكعبة وكسره حتى لو شاء أن ينال أُفق السماء لنالها أم أنا ؟ قال : بل أنت (4) .

تحقيق وتمحيص

إنّ الأخبار المنقولة حول هذه الحادثة بالغة الكثرة ؛ فقد نقلها أئمّة الحديث ، والتاريخ ، والحفّاظ – على حدّ تعبير العلاّمة الجليل الشيخ الأميني (5) – بدون أن يطعنوا في أسانيدها ويشكّوا في نقلها . وما يتطلّب قليلاً من البحث ، ويحتاج إلى التحقيق والتمحيص والتوضيح هو زمن الحادثة ؛ فإنّ تبويب الأخبار الكثيرة المنقولة في هذا المجال يدلّ على أنّها تنقسم إلى أربعة أقسام :

1 – بعض الأخبار – وهي كثيرة جدّاً – لم تصرّح بزمن وقوع الحادثة ، وجاء في آخرها أنّ الإمام قال : " . . . فقذفت به [أحد الأصنام] فتكسّر كما تتكسّر القوارير ، ثمّ نزلتُ ، فانطلقت أنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) نستبق حتى تواارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس " (6) .

2 – أخبار أُخرى تُشير إلى أنّها كانت في ليلة خروج النبيّ (صلى الله عليه وآله) من مكّة (7) .

3 – أخبار أُخرى تنصّ على أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج مع الإمام (عليه السلام) من بيت خديجة ، ثمّ عادا إلى البيت بعد كسر الأصنام (8) .

4 – خبر آخر نصّ على أنّها تزامنت مع فتح مكّة (9) .

وتدلّ الطوائف الثلاثة الأُولى من هذه الأخبار على أنّ الحادثة كانت قبل الهجرة وفي ذروة الإرهاب الذي مارسه المشركون ضدّ المسلمين ، والظنّ القويّ يدعم هذا الرأي ، مع أنّه لا يستبعد وقوعها مرّتين ؛ أي قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الحركة العظيمة المضادّة للشرك ومعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك الجوّ الإرهابي الخانق المظلم قبل الهجرة .

ومن الجليّ أنّ المشركين الذين كانت مكّة ، المسجد الحرام ، والكعبة تحت تصرّفهم قد أعادوا الأصنام إلى مكانها ، ودنّسوا بها الكعبة ، ثمّ وبعد فتح مكّة تكرّرت تلك الحركة التطهيرية العظيمة للمرّة الأخيرة .

واحتمل بعض المحدّثين والعلماء هذا التعدّد ؛ فالعلاّمة المجلسي الذي تحدّث في موضع من كتابه " بحار الأنوار " عن فتح مكّة ، أشار في موضع آخر إلى أخبار أُخرى ، وقال :

" أمّا كون كسر الأصنام في فتح مكّة فلا يظهر من هذا الخبر ، ولا من أكثر الأخبار الواردة فيه ، بل صريح بعض الأخبار وظاهر بعضها كون ذلك قبل الهجرة ، فيمكن الجمع بينهما بالقول بتعدّد وقوع ذلك " (10) .

ونقل أحمد بن محمّد بن عليّ بن أحمد العاصمي (م 378) أحد أُدباء القرن الرابع وعلمائه بخراسان أيضاً هذا الاحتمال (11) .

---

(1) المستدرك على الصحيحين : 3 / 6 / 4265 ، تاريخ بغداد : 13 / 302 / 7282 كلاهما عن أبي مريم وفيه من " انطلق بي... " .

(2) الإسراء : 81 .

(3) المستدرك على الصحيحين : 2 / 398 / 3387 ، مسند ابن حنبل : 1 / 183 / 644 ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي : 225 / 122 ، تهذيب الآثار (مسند عليّ بن أبي طالب) : 237 / 32 و ح 33 ، مسند أبي يعلى : 1 / 180 / 287 وزاد في آخرهما " فلم يرفع عليها بعد " ، المناقب للخوارزمي : 123 / 139 ، المناقب لابن المغازلي : 429 / 5 ؛ المناقب للكوفي : 2 / 606 / 1105 .

(4) الخصال : 552 / 30 عن أبي سعيد الورّاق ، الاحتجاج : 1 / 311 / 53 كلاهما عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه (عليهم السلام) .

(5) الغدير : 7 / 10 .

(6) مسند ابن حنبل : 1 / 183 / 644 ، المستدرك على الصحيحين : 2 / 398 / 3387 ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي : 225 / 122 ، تهذيب الآثار (مسند عليّ بن أبي طالب) : 237 / 32 و 33 ، مسند أبي يعلى : 1 / 180 / 287 ، المناقب لابن المغازلي : 429 / 5 ، المناقب للخوارزمي : 123 / 139 ؛ المناقب للكوفي : 2 / 606 / 1105 وراجع تاريخ بغداد : 13 / 302 / 7282 ومجمع الزوائد : 6 / 21 / 9836 والخصال : 552 / 30 والاحتجاج : 1 / 311 / 53 .

(7) المستدرك على الصحيحين : 3 / 6 / 4265 .

(8) الفضائل لابن شاذان : 83 ، بحار الأنوار : 38 / 84 / 4 .

(9) المناقب لابن المغازلي : 202 / 2400 ؛ العمدة : 364 / 710 .

(10) بحار الأنوار : 59 / 138 .

(11) زين الفتى : 1 / 159 .